

كأنه اللص، ولكني ألتمسهن من حولي فلا أرى لهن محضرًا ولا مظهرًا، وألتمسهن في نفسي فلا أظفر منهن بشيء. لقد غبن عن عيني وغبن عن نفسي، وكأنهن أمرن الذكرى أن تتبعهن وتمضي إلى حيث مضين، فأنا أريد أن أذكر فلا أستطيع، وأريد أن أفكر فلا أجد سبيلًا إلى التفكير، وأنا آوي إلى مضجعي وقد كنت أزمعت ألا آوي إليه، ولكن للقوة البدنية حدًا، ولكن للتعب سلطانًا هو باسطه، وغاية هو بالغها، ولقد قضيت ليلة لم أذق فيها النوم، وهذه الليلة الثانية قد انقضت أكثرها، وكادت توالي نجمها تتغور، فلا بد إذن من بعض الراحة سواء أرضيت أم كرهت ...

ومن أجل هذا فارقتني أيتها الأخت العزيزة، وفارقتني معك هذه الظلال الحمراء. إنكن لرفيقات بي شقيقات علي، وما يمنعكن من ذلك وأنا عندما تُردن، لم أهن ولم أضعف، ولم أنهزم لهذا العدو الماكر القوي! ليت شعري! أكنتن ترفقن بي، وتشفقن عليّ، وتنصرفن عني وتخلين بيني وبين النوم، لو أنني خالفت عن أمركن واستجبت أو أظهرت الاستجابة لذلك الدعاء البغيض الذي كان يرسله إليّ سيدي بالعين واليد واللسان؟!